« بفلسفة العصر » ، كانت أيضا أول هزة للامبراطورية البريطانية ، ولنظام الاستعمار في عنفوانه . لقد أكدت هذه الثورة (« حق المقاومة » الذي أكده المفكرون)(٦).

وتكمن أهمية الثورة الاميركية في ناحيتين :

الاولى : أنها أكدت في « بيان الاستقلال » أهم المبادىء التي دعا لها الفلاسفة الاحرار خلال قرن من الزمان .

الثانية : انها أكدت مع ذلك حق الشعوب في الاستقلال القومي وفي مقاومة الاحتلال.

ويجدر بنا هنا أن ننقل فقرة من خطاب لتوماس جيفرسون ، ألقـاه في ٢٤ حزيران ١٨٢٦ يقول فيها : « لعله (أي بيان الاستقلال) ان يكون للعالم ، ما أعتقد انه سيكون ـ لبعض الاجزاء في القريب ولبعضها الآخر فيما بعد ، ولكن للكل في النهاية ـ علامة هبوب الناس لتحطيم الاغلال التي دفعهم الجهل والايمان بالخرافات الى تقييد أنفسهم بها ، والاستمتاع بسعادة الحكم الذاتي وأمنه »(٧). أن جيفرسون هنا يقول ما قاله مفكرو أوروبه الاحرار من قبل . انه لا يريد التحرر والحكم الذاتي للولايات المتحدة الاميركية فقط ، انه يريدهما للعالم كله .

ولكن الثورة الاميركية لم تهز العالم القديم كما هزته الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ . لقد كانت اميركا الشمالية من أطراف الامبراطورية البريطانية ، ولم تكن آنذاك قاعدة صناعية أو أداة تأثير خارجي ، بسبب بعدها من جهة ، وقصور وسائل المواصلات ، ولانها لم تكن تمثل آنذاك قوة على الصعيد العالمي . اما الثورة الفرنسية فقد قامت وسط أوروبه ، وفي فرنسا بالذات ، احدى قوى اوروبه الاساسية . وكانت فرنسا مهد حركة فكرية وسياسية قوية ، ترفض العالم القديم كله وتطرح مفاهيم حياة جديدة .

وعندما قامت الثورة اعلنت بيان حقوق الانسان والمواطن ، ومن اهم ما جاء في هذا البيان :

« وبناء عليه فان المجلس الوطني يقر ويعلن ... الحقوق التالية للانسان والمواطن :

١ ـ يولد الناس ويظلون أحرارا ومتساوين في الحقوق . ويمكن أن تقوم الامتيازات الاجتماعية على أساس المصلحة العامة فقط .

٢ ـ ان هدف كل مؤسسة سياسية ان تحافظ على حقوق الانسان الطبيعية التي لا تبطل ، وهذه الحقوق هي الحرية والملكية والامن ومقاومة الاضطهاد .

٣ ـ ان مبدأ السيادة كلها يقع بالضرورة في الامة . ولا تستطيع اية هيئة او فرد ان يمارس السلطة ، اذا لم تأخذ أصولها من الامة .

٤ ـ وتكون الحرية في أن يتاح لك أن تعمل كل ما لا يؤذي الآخرين ...

٦ ـ ان القانون هو تعبير عن الارادة العامة . ويحق لكل المواطنين ان يشاركوا شخصيا ، أو بواسطة ممثليهم في وضعه ...

١٠ ـ لا يجوز أن يضايق أحد بسبب افكاره ، حتى بسبب افكاره الدينية ، شريطة الا يزعج اعلانها النظام العام الذي يقيمه القانون .

١١ ـ ان التبادل الحر للافكار والآراء واحد من اغلى حقوق الانسان .

١٧ ـ لان الملكية حق مقدس لا يمس ، فلا يجوز أن يحرم منها أحد ، الا عندما تقتضي الحاجة العامة ، المعلنة عـن طريق القانون ، والتي تجعل ذلـك ضروريا ضرورة صريحة ... »(٨).